واقع المسلمين في المجتمعات الأوروبية بين المواطنة والتهميش

د. صهيب حسن عبد الغفّار

بسم الله الرحمن الرحيم

واقع المسلمين في المجتمعات الأوروبية بين المواطنة والتهميش

د. صهيب حسن عبد الغفّار
عضو المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث
سكرتير مجلس الشريعة الإسلاميّة
لندن (بريطانيا)

الفصل الأول

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعدُ، فإنّ الحديث عن المسلمين في أوروبا ذو شجونٍ، قد يختلف من قطرٍ إلى قطرٍ مع تجانسٍ وتوافقٍ في بعض النقاط غير أنّ الأوضاع بصورة عامّة غير التي كانت عليها قبل عقدين من الزّمان من أجل الأحداث العالمية ربطت الغرب بالشرق، لا بحبال المودّة والتقارب بل بأوصالٍ من الشحناء والتباعد و بأوهامٍ من الشَّك والارتياب وزاد الطين بلّة توافد مئات المهاجرين من الشرق الأوسط وقرن إفريقيا إلى أوروبا هروبًا من التصاعد العسكري والحروب الداخليّة وانتشار الفوضى بالإضافة إلى عامل مهمّ أقضّ مضاجع دول في الشرق والغرب، ألا وهو قيام حكم همجّي متوحّش بإسم الدولة الإسلامية بالشام والعراق، وهذا ما جعل اليمين المتطرّف في بلاد أوروبا ينشط من جديد ويلبس سربالاً من حديد لتوجيه اللائمة على المسلمين سواءً كانوا حديث عهد بالقدوم أو مرّت عليهم أزمان و تداخلت عليهم أجيال. وجاؤوا بحركة معادية للإسلام تُدعى «PEGIDA».

فماهي حركة PEGIDA؟ تعني بالإنجليزية: Patriotic European Against the Islamisation of the West. أي الأوربيّون القوميّون ضدّ أسلمة الغرب.

كانت هناك مظاهرات لمجموعة عمّال أكراد (PKK) في مدينة «درسيدن» في شرق ألمانيا وكانت لهم مناوشات مع مجموعات سلفيّة قبل ذلك وصادف ذلك مواجهة بين

الشيشان واليزيديّين في مدينة CELLE، كلّها يوم العاشر من شهر أكتوبر عام 2014م. فأنشئت هذه الحركة في اليوم التالي، وأخذت طريق المظاهرات عنوانًا لاحتجاجاتهم الصارخة ضدّ اللاجئين.

كانت أوّل مظاهرة في 26 أكتوبر لأصحاب هذه الحركة من اليمين المتّطرف، حضرها ثمانية آلاف شخص في مدينة «كولن» الألمانية وكانوا يصيحون ضدّ السلفييّن (أي المسلمين المتمسكين بتقاليد دينهم). وازداد العددُ في بعضها ونقص في البعض الآخر، من ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف شخص يوم 12/ 8 / 2014 إلى 25 الف شخص في 12/ 1/ 2015م وحضرها رئيسها المدعوّ «Bachmann» وانتقص عددها إلى عشرة آلاف في مظاهرة في شهر سبتمبر من هذا العام.

ورئيسها المذكور رجل له سجّل من الإجرام وتعاطٍ للمخدّرات حتّى أنّه هرب إلى جنوب افريقيا عام 1998م ولكنّه أعيد إلى ألمانيا فسُجن لمدّة عامين.

ظهر الرجل في هذه المظاهرة بالبزّة التي عرف بها فريق «كو كلكس كلين ku klux klan » العنصري الأمريكي، وكان يصف اللاجئين بالحيوانات والحشرات. كانت مطالبها كثيرة بلغت إلى تسعة عشرة مطلبًا ومن أهمّها:

1- يجب أن تكون هجرة انتقائية أي ننتقي من اللاجئين من نراهم صالحين للدخول.

2- لابأس أن نقبل أولئك المسلمين الذين اندمجوا في المجتمعات الأوروبية.

3-لابدّ من إبعاد المتطرفين المذهبيين.

4- علينا أن نحافظ على الثقافة اليهوديّة المسيحيّة التي هي سمة البلاد.

5- ضرورة الحفاظ على الأمن الداخلي بكل الوسائل.

6- ليس هناك مجال للشريعة وشعائرها مثل المحاكم أو الشرطة في أوروبا.

7- نعارض كل أنواع الراديكالية معارضة شديدة.

8- الإسلام ضدّ المرأة.

9- الإسلام هو العنف.

و طبقًا لهذه المطالب كانوا يرفعون هتافات:

«الحفاظ، الحفاظ على ثقافتنا»

«ضدّ التطرّف المذهبي»

«ضد الراديكالية»

«نحن كلّنا يد واحدة بدون عنف»

«نحن كلّنا ضدّ الحروب المذهبية على أرض ألمانيا».

وقد قامت مظاهرات مضادّة أيضا حضرها 35 ألف شخص في 1/ 10/ 2015م وإن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ الألمان لم يكونوا كلّهم راضين بهذه الحركة العنصرية المقيتة فأرادوا أن يُسمع صوتهم كذلك. (1)

ولنكون على صورة أدّق عن الوضع الأوروبي تجاه اللاجئين والمسلمين، نعود إلى تحقيق أجرتهُ جامعة درسيدن للتكلونوجيا حول ظاهرة حركة اليمين المتطرف فجاء بهذه النتائج، منهم:

54٪ من جرّاء استيائهم لسياسة دولهم.

23٪ هم ضدّ الإسلام والمسلمين.

20٪ لا يرتاحون للإعلام.

15٪ لديهم تحفظ ضدّ الهجرة.

وفي استفتاء آخر عامّ وردت النتائج كالتالي:

43٪ من هؤلاء يخافون من انتشار الإسلام.

33٪ يعتقد أن اليمين المتطرف هو الذي وراء هذه المظاهرات.

و في استفتاء آخر:

57٪ يرَون أنّ الإسلام خطر على ديارهم.

40٪ يَرَوْن أنّهم بأنفسهم أصبحوا أجانب في ديارهم.

وقال رئيس المجلس المركزي لليهود في ألمانيا ردّا على فكرة اليمين المتطرف: «غزو المسلمين لألمانيا مستحيل لأنّه بمثابة إحياء النازية من جديد".

ومن أجل احتواء المسلمين كانت الفئات المعتدلة في فكرها تطالب بمطالب عدّة أيضا منها:

1- ضرورة دراسة الديموقراطية ودورها في الحفاظ على الأقليات.

2- ضرورة دراسة الثقافات الأجنبية في المدارس.

3- ضرورة مجابهة التطرّف في كل أشكاله ومن الغريب أنّ المتضررين من حادث جريدة «شارلي هبدو» الفرنسية كانوا على خلاف من حركة PEGIDA وكانوا يَرَوْن أنّ لها أجندة خاصّة بها وكانت الجريدة أخذت على عاتقها محاربة المفاهيم التي كانت تدعو إليها.

وقالت جريدة « صباح» التركية وهي تقارن بين PEGIDA وبين الدولة الإسلامية المزعومة أنّ كليهما تتمتعان بعقليّة متخلّفة وأنّ هذه الحركة ضدّ الترك والمسلمين في ألمانيا. (2)

وهل كانت هذه الحركة خاصّة بألمانيا؟ لا لم تكن خاصّة بألمانيا بل امتّدت إلى العديد من الدول الأوروبية وإليكم بيانها: خمس دول أوروبية قنّنوا تشريعات لإقامة سدٍّ دون هجرة اللاجئين المسلمين وهي:

1- بلغاريا: قال رئيس الوزراء هو ليس ضدّ المسلمين ولكن يرى أنّ تقديم عدد كبير منهم سوف يغيّر من ديموغرافيا البلد.

2- جمهورية التشيك: قدوم مهاجرين من ثقافات مختلفة ليست صالحة لهذه البلاد وفي 23/ 1/ 2016م اجتمع أربعة عشر ممثلاً من الدول الأوروبية في العاصمة وأصدروا إعلان «براغ» جاء فيه: إنّ تاريخ الحضارة الغربية سوف يأتي إلى نهايته بطريق غزو الإسلام لأوروبا.

3- إستونيا : قالت وزيرة الشؤون الإجتماعية: «نحن أصحاب ثقافة مسيحية غير متجانسة مع الثقافة الإسلاميّة».

4- بولندا: قبلت ستين عائلة مسيحية من سوريا طبقا لاعتبارها للخلفية المذهبية للمهاجرين.

5- سلوفاكيا: قال وزير الداخلية: «نحن مستعدون لقبول مائتين من المهاجرين المسيحيين من معسكرات تركيا وإيطاليا واليونان».

وأدلى بتصريح لإذاعة بي بي سي قائلاً : قد نقبل ثمانمائة مسلم ولكن ليس لدينا مساجد فكيف يندمجون معنا إذا لم يروا البقاء معنا.

6- بريطانيا: قامت هناك مظاهرة في مدينة «نيوكاسل» يوم 28/ 2/ 2015م تحت تأثير من PEGIDA وحضرها حوالي أربعمائة شخص فقام «جورج قالوي» السياسي المتعاطف مع المسلمين بمظاهرة مضادّة حضرها ألف شخص. (3)

ونأتي بعد ذلك إلى جهود الاتحاد الأوروبي بخصوص التقنين ضدّ الإرهاب وهو يستهدف أصلاً المسلمين سواءً نطقوا بهذا أو لم ينطقوا. وضع الاتحاد مخططًا لمجابهة الإرهاب عام 2010م وهو يضم خمس نقاط التالية:

1-الوقاية (Prevent): والمقصود منها اتخاذ جميع الوسائل الوقائية حتّى لا تكون هناك إمكانية لوقوع أي حادث إجرامي ومن هذه الوسائل مراقبة المتطرفين إزاء تداولهم الإنترنيت ومراقبة من يرغب في التجنيد للدولة الإسلامية المزعومة .

2- الحماية (Protect): ويهدف إلى مراقبة الحدود والمواصلات وتبادل المعلومات عن المسافرين عبر البحار.

3- التتبع (Presue): والمقصود منه حماية المعلومات التقنية (Data) حتّى لا تقع بأيدي العابثين والمسافرين وألاّ يكون هناك غسيل للأموال المشبوهة.

4- الردّ والمجابهة (Respond): أي الاستعداد الكامل لردّ أيّ هجمة من قبل الإرهابيين سواءً كانت قتالية أو كيماوية أو طبيعية (Biological) أو نووية حتّى تضمن سلامة السكان الآمنين الوادعين.

5- الأمور الأفقية (Horizontal Issues): أي لابدّ من مراعاة الحقوق الإنسانية عند التعامل مع المشبوهين، كما لابدّ من التعاون مع الجهات الخارجية مثل الأمم المتّحدة في تطبيق هذه المعايير ولا بّد من مراقبة من يموّل الإرهاب. (4)

وصدر في لكسمبورغ في 12/ 6/ 2002م ميثاق بعنوان: «حكم مجلس إطار العمل لمحاربة الإرهاب» وهو يضمّ 13 مادّة تحت إشراف وتوجيه الاتحاد الأوروبي. (5)

وإليكم ذكر بعض القوانين الأخرى التي صدرت في عديد من الدول الأوروبية:

بلجيكيا: قانون عام 2003م ضدّ الإرهاب .

فرنسا: قانون حبس المتّهم حتى جمع المعلومات عنه .

إيرلندا: قانون عام 2005م ضدّ الإرهاب .

إيطاليا: قانون عام 1975م وهو يسمح بالقبض على المتّهم بدون أمرٍ من القاضي وجواز التفتيش بدون حضور المحامي، والحكم بالسجن لمدّة عامين إلى عشرين عامًا وإلى الأبد حسب خطورة الجناية.

بريطانيا: قانون 2005م ضدّ الإرهاب. ثمّ قانون 2006م الذي يسمح بحبس المتّهم لثمانية وعشرين يومًا.

وأراد توني بلير عام 2008م أن يجعل هذه المُدّة اثنين وأربعين يومًا و لكن ردّه البرلمان ثمّ جاء قانون عام 2015م لحماية الأمن ومحاربة الإرهاب. (6)

ألمانيا: بعد أحداث باريس قال وزير العدل الألماني «Heiko Maas»: نريد أن نأتي بأخطر قانون ضدّ الإرهاب وهو يقتضي عقابًا صارمًا للشخص الذي يذهب إلى الخارج من أجل التدريب على الجندية وخاصّة إلى مناطق مشبوهة. (7)

وكانت هناك انتقادات على هذه القوانين وعدم جديتها فيقول «ستيوو بيرز» عقب حادث باريس في مقال له صدر في1/ 8/ 2015م: «هل تحتاجون إلى قانون آخر لمساءلة العائدين من سوريا وهل هذا منع من وقوع حادث باريس، إنّ هذا الحادث كان ضدّ حريّة الرأي. يكفيكم قوانين تبادل المعلومات لدى الشرطة وتبادل المعلومات عن المسافرين بالطائرات وقوانين التفتيش عند الحدُود ولكن السؤال هل هذا كلّه متوافق مع الحقوق الإنسانية». (8)

ومن أعجب العجاب وأغرب الغرائب أنّ حكومة بريطانيا تخوّل للشرطة صلاحيّات بمحاربة الإرهاب الذي لم يقع بعدُ ولكنّها لا تضمن الحفاظ على ممتلكات شخصيّة للمواطنين. وانظر على سبيل المثال ما حدث للدكتور لياقت علي، وهو أحد أفراد أسرتي يوم 18/ 8/ 2016م فقد كان غائبا لأسبوع في سفرٍ خارج البلاد فدخل الفضوليون من سكان إحدى دول شرق أوروبا في مستوصفه في شرق لندن بعد اقتحام الجدران وكسر آلة التنبيه ثمّ خرّبوا المكاتب وعطّلوا الأجهزة ودمّروا الأثاث وجعلوا إحدى الغرف سكنًا لهم، وطلب الدكتور من الشرطة إخراج هذه المجموعة المعتدية من المستوصف فقالوا «ما لدينا صلاحيّات حيث أنّ لهؤلاء الفضوليين حقوقًا ويمكنهم أن يدخلوا عمارات تجاريّة فارغة». ثمّ انصرفوا بدون أن يحرّكوا ساكنًا. ولولا ذكاء الدكتور لياقت علي في اتخاذ حيلة لما خرجوا، فقد أسرّ في أذن أحدهم: «أنّ المرضى الذين ينتابون هذا المستوصف منهم مجانين يمكنهم أن يقوموا بأيّ عمليّة لا تحمد عقباها». فجمع الجماعة عدّتهم وعتادهم وخرجوا من اليوم التالي.

إنّ الحادث المذكور نقلته الأنباء وطارت بخبره الصحف البريطانية.(9)

وعصارة القول أنّ الارهاب يربط دائما بالمسلمين منذ حادث البُرجين في أمريكا يوم 11/ 9 عام 2001م وقليل من يتكلّف فيعود إلى أصل المشكلة وأحسن ما عبّرت عنه هي الصحفية الأمريكية «هيلين توماس» التي ماتت عن تسعين سنةً. المرأة التي فضحت الولايات المتحدة الأمريكية ومنعوا كلامها من النشر حتى ماتت وتركت كلمة «المنطقة العربية ستزول بالكامل»، المرأة التي فضحت أميركا وعلاقتها بداعش. في يوليو الماضي احتفل نادي الصحافة الأمريكي القومي بالذكرى الثانية لرحيل عميدة مراسلي البيت الأبيض، وأول امرأة تتولى منصب رئيس نادي الصحافة الأمريكي. والتي عاصرت أهم رؤساء أمريكا ورافقتهم وغطت أنشطتهم، وكانت مع نيكسون في أول رحلة تاريخية للصين عام 1971، والتي رفضت أن ترافق جورج بوش الابن، وأعلنت رفضها عبارته الشهيرة: «إنه يحارب في العراق من أجل الله والصليب». وقالت: «بل إنها حرب الشيطان وليست حرب الله». هي «هيلين توماس»، التي ماتت في الخامسة والتسعين، وكانت كما قال تلاميذها في حفل تأبينها: «أجرأ صحفيّة في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية». توماس قبل رحيلها بعدة أيام، كتبت مقالة خطيرة للنشر في كبريات الصحف الأمريكية، وتم رفضها في حادثة لها هي الأولى من نوعها، مما جعلها تصرخ في محاضرة بنادي الصحافة قائلة: «اليهود يسيطرون على إعلامنا وصحافتنا ويسيطرون على البيت الابيض».

وأضافت، «أنا لن أتغير ما حييت، مؤمنة به؛ الإسرائيليون يحتلون فلسطين، هذه ليست بلادهم. قولوا لهم ارجعوا لبلادكم واتركوا فلسطين لأهلها. إنني أرى بوادر حرب عالمية ثالثة، طبخت في مطبخ تل أبيب ووكالة الاستخبارات الأمريكية والشواهد عديدة. أول خطوة ظهور تنظيم داعش، بدعم أمريكي لا تصدقوا أن واشنطن تحارب الإرهابيين وما يسمون أنفسهم بالجهاديين، لأنهم دمية في أيدي السي اي ايه». وأضافت، «إنني أرى أن بريطانيا سوف تستحضر روح البريطاني «مارك سايكس» وفرنسا سوف تستحضر روح الفرنسي «فرانسو بيكو» وواشنطن تمهد بأفكارهما الأرض لتقسيم الدول العربية بين الثلاثة، وتأتي روسيا لتحصل على ما تبقى منه الثلاثة، صدقوني انهم يكذبون عليكم ويقولون: «إنهم يحاربون الإرهاب نيابة عن العالم» وهم صناع هذا الإرهاب والإعلام يسوق أكاذيبهم، لأن من يمتلكه هم يهود اسرائيل».

هذه كلمات هيلين توماس منذ عامين وأعيد نشرها في ذكراها، يوليو الماضي. بالطبع قوبلت بعاصفة هجوم عاتية من اللوبي الصهيوني وطالب نتنياهو بمحاكمتها بتهمة معاداة السامية لكنها رحلت بعد أن قالت الصدق وتلقف كلماتها المخرج العالمي «مايكل مور» في فيلم تسجيلي.

ومور هو من فضح بوش الابن وعصابته من أصحاب شركات السلاح من اليمين الأمريكي مثل «ديك تشيني» و« كوندليزا رايس » وحصل فيلمه الشهير فهرنهايت 11/ 9 على أكثر من جائزة.

ما يهمنا وسط الأحداث الأخيرة، بداية من حادثة سقوط الطائرة الروسية التي راح ضحيتها أكثر من مائتي مدني، ثم حادث بيروت الذي خلف عشرات القتلى والجرحى ثم حادث باريس، مرورا بحوادث في العريش والعراق وليبيا وسوريا أنّ داعش لا يمكن لها أن تقوم بكل هذا العنف البشع بمفردها، وأن هناك أجهزة استخبارات تدعمها، وتشيطنها لتشعل المنطقة وتدفعها لأتون جحيم لا ينطفئ، فتراهم على حافة الفناء. والفناء هنا يعني تسليم المنطقة للقوى التي خططت، ودعمت، وأشعلت لإزالة القائم وزحزحة المستقر وإزالة المعترف به. وما يُؤكد هذا، كلام «جيمس وولسي» رئيس الاستخبارات الأمريكية السابق الذي قال بوضوح:

«المنطقة العربية لن تعود كما كانت، وسوف تزول دول وتتغير حدود دول موجودة». نفس المعنى تقريبا قاله «مارك ريجيف» المتحدث باسم الحكومة الإسرائيلية: «المنطقة على صفيح ساخن، ونحن لن نسكت، وننسق مع أجهزة الاستخبارات في الدول الكبرى للقضاء على الإرهاب، وسوف نتدخل معهم لمحاربة الإرهاب حتى لو اندلعت الحروب، لنضمن حماية دولتنا ».

إذن تتحقق نبوءة «هيلين توماس» تل أبيب وواشنطن خلقت أسطورة التنظيمات الإرهابية في المنطقة و داعش التي خرجت من معامل تل أبيب وواشنطن لتشعل المنطقة والعالم، وتحرك الأنظمة نحو هدف واحد، وإعادة الترسيم وتوزيع النفوذ والغنائم، فماذا انتم فاعلون يا عرب ؟

أعيدوا قراءة مقالات ومحاضرات « هيلين توماس» التي اقتبس منها مقولة «الغرب يعيش على غباء العالم الثالث والدول الفقيرة» .

هل يصلح هذا الحل، في وقتنا مع كل المتغيرات الدراماتيكية؟ نعم فقط جربوا أن تتوحدوا وتكونوا على قلب رجل واحد. إنه حلم، لكنه ليس مستحيلا. ومرة أخرى اقرأوا هذه السيدة التي هاجمها الصهاينة، وحاربوها، لكنهم لم يكسروا قلمها، إنها هيلين توماس». (10)

الفصـــل الثاني

قام الاتحاد الأوروبي على أسس وأقدار عبّر عنه رئيس الاتحاد السابق وهو يتكلّم عن الإسلاموفوبيا فقال: إسلاموفوبيا هو علاقة عزل الأقدار الإنسانية التي قام عليها الاتحاد الأوروبي مثل الازدواجية والتّحمل وحريّة الأفكار والعدل والتضامن والمساواة ونبذ التفرقة العنصرية القائمة أساسًا على المذهب أو الجنس أو العرق.

إنّ أوروبا يسكنها عشرون مليون من المسلمين ولا شكّ أنّه كانت هناك حوادث دامية منذ العقد الأوّل من القرن الجديد في عديد من العواصم الأوروبية مثل مدريد ولندن وباريس وبروكسل، وآخرها حادث نيس (فرنسا) وميونخ (ألمانيا) ممّا أقضّ مضاجع الساسة الأوروبيين فصار الإعلام يشعل نار الحقد والكراهية ضدّ المسلمين والذِين ذهبوا ضحية لهذه الحوادث بضعة مئات من الأشخاص، ولم يدروا أنّ دولة واحدة مسلمة وهي باكستان فقدت سبعين ألف شخص منذ حادث البُرجين من جرّاء الإرهاب.

فالحلُّ ليس النكاية بالمسلمين أو طردهم من أوروبا كما يحلُو للبعض بل إنَّما هو حرب الأفكار والنظريّات فإنّ للمسلمين في أوروبا خدمات وإنجازات ولهم مشاركة سياسية على مستوى المجالس والبرلمانات حضور بارز في معالم الثقافات والحضارات يجب ألاّ يُهمل عند الحديث عن هذه الحوادث الداميات.

ونعود إلى عدد من التقارير التي تتحدث عن هذه الظاهرة، منها تقرير قدّم إلى البرلمان الأوروبي في بروكسل في بداية هذا العام، و يقول مؤلفو مقال: أوّل تقرير أوروبي عن الإسلاموفوبيا يُنبئ عن الجوّ الخطر الذين يعيشه المسلمون.

إنّ حوادث الهجوم على المسلمين زادت بنسبة 500٪ منذ وقعة «شارلي هبدو» الفرنسية ومعظم هذه الحوادث بنسبة 75٪ هي ضدّ النساء من أجل الحجاب والنقاب وكان هناك إحصاء من قبل (Foundation Bertelsmann) وجاء فيه أنّ 61٪ من الألمان يرَوْن أنّ الإسلام لايتوافق مع الغرب و 64٪ من الإنجليز يَرَون أنّ المسلمين لديهم مشكلة.

إنّ توافد اللاجئين من سوريا والعراق صعّد المشكلة غير أنّ مظاهر إسلاموفوبيا كانت موجودة قبل قدومهم في عدد من الدول في شرق أوروبا مثل هنغاريا ولتوانيا حيث كانوا يعتقدون أنّ المسلمين أصحاب عنف وجرائم (وهو غير صحيح) وكان الإعلام عادة يضخّم عدد المسلمين حتّى يكون سببًا للتهويل والمخاوف. وكانوا يعتبرون المسلمون جنسًا آخر كأنّهم جاؤوا من فلكٍ آخر. وكان أحد مؤلفي هذا المقال هو أفغاني الأصل، بلغ من العمر

تسعة سنواتٍ عند حادث البرجين يوم 11/ 9 ويتذكر جيّدًا أنّه كان في الفصل عندما قام المعلّم و أشار إليه قائلاً: هؤلاء فعلوا ذلك.

وذُكر أنّ رئيس حزب الإستقلال في النمسا كان يظهر بالصليب وكان يقول لهم :«إنّ أعداءنا اليوم ليسوا جنودا بأوروبا أو فرنسا بل إنَّما هم المسلمون المهاجرون». وكان الرجل من اليمين المتطرف وصارت له شعبية بذلك حتّى رُشِّح للرئاسة وفاز بالدور الأوّل أيضًا. (11)

وفي تقرير آخر عن بريطانيا أكّدت الإحصائيات أنّ حوادث العنف ضدّ المسلمين لا تزال في ازدياد. عام 2014م كان هناك 146 حادث من هذا النوع، وعام 2015م ازداد العدد فوصل إلى 437 حادث. وبعد أن تمّ الاستفتاء في بريطانيا يوم 23/ 6/ 2016م وأسفر عن فوز الناخبين الذين دعوا إلى الانفصال عن الاتحاد الأوروبي صارت هنالك 364 حادث خلال أسبوع واحدٍ، منها219 حادث إساءة بالكلام و74 حادث بالهجوم السافر، ومعظم الضحايا كانت من النساء حيث بلغت إلى 61٪. وأشار التقرير إلى مواضع الحوادث أيضًا فقال إنّ 26٪ فيها حصلت على الشوارع (عددها 111حادث) و 20٪ في المواصلات (89 حادث) و 12٪ في أمكنة العمل (53 حادث). (12)

وما دام موضوع المرأة احتّل في الصدارة فنزيدها وضوحًا فنقول: شرّعت عدد من الدول الأوروبية لمنع النقاب.

فرنسا عام 2010م منعت النقاب.

بلجيكا صوّتت ضدّ لبْس النقاب والبُرقع.

إيطاليا: امرأة منتقبة غُرّمت ستمائة دولار على لبْس النقاب.

قالوا إنّ البرقع هو علامة هيمنة الرجال على النساء حيث يفرضون على المرأة ما يلبسُنَ. وقال الرئيس الفرنسي مخاطبًا النسوة المسلمات ألاّ تلبسُوه. إذًا أليس هذا من هيمنة الرجال على النساء أيضًا بل يزدادُ سوءًا لأنّه يأتي من قبل الحاكم.

قالوا إنّ ستر الوجه حاجزٌ دون الاحتكاك مع الجنس الآخر كما أنّه لا يتوافق مع معايير الديموقراطية. فنقول: أليس تدخّل الحكومة في أمر مجموعة من النساء تدخل فاضحٌ في الحريّات الشخصيّة وهذا أمرٌ اعترفت به حتّى النساء التي رفعن شعار الحرية. (13)

نعود إلى ألمانيا فنشير إلى بيان وزير الداخلية فقال إنّ الحوادث التّي سبّبها اليمين المتطرف كان عددها العام الماضي 990 حادث فأصبح عددها 1408 حادث هذا العام وكانت هناك 75 عمليّة لإشعال النَّار في ممتلكات اللاجئين وهو يزيد خمس مرّات على ما كان عام 2014م. وبلاد ألمانيا كان لها الشرف أن استقبلت مليون لاجئ من سوريا. وهذا مّما يرحّب به كلّ من يحب الحريّة والمواساة غير أنّ الأمر أصبح عظمًا خانقا في حلوق اليمين المتطرف.(14)

ومن مظاهر الإسلاموفوبيا كراهية بعضهم تجاه تشييد المساجد ورفع مناراتها (مثل سويسرا) أو تغليظ قولهم في الشريعة ومجالسها (بريطانيا، فرنسا وهولندا) أو اللجوء إلى الإعلام الساخر لتهييج مشاعر المسلمين بطريق الرسوم المسيئة إلى نبيّ الإسلام (الدنمارك، النرويج، فرنسا وهولندا) أو السخرية من أصحاب اللحى واللُّبْس العربي عمومًا.

ولا يَسَعُنا في الأخير إلاّ أن نقول أنّه يجب التفرقة بين الأمرين:

أوّلا : تواجد المسلمين على أرض أوروبا.

ثانيا: حوادث الإرهاب التي حصلت على أيدي الشباب من المسلمين.

أمّا الأوّل، فهو حكم تاريخي يخضع لعوامل الهجرة من بلد إلى بلد طوال أزمنة التاريخ يتبعه تداخل الحضارات والثقافات وتبادل المذاهب والأديان. وكم من بلاد وثنية انقلبت إما إلى البوذية أو المسيحية أو الإسلام من جرّاء هذه العوامل، وليست أرض أوروبا بمنحى عن هذه الظاهرة فهي لم تكن يهودية مسيحية في بادئ أمرها ولكن قُدِّر لها أن تكون كذلك. وجزء كبير منها خضع للحضارة الإسلامية مثل أرض إسطنبول وما جاورها من أقطار وكذلك أرض البلقان وألبانيا فلماذا هذا الفرار من الأمر الواقع، إنّ أرض أوروبا هي الآن تحتضن الحضارات الثلاث: اليهودية والمسيحية والاسلام. هذا أمر قُدّر له الآن إنّ الثقافة الإسلامية تزيد أوروبا بهاءً وجمالاً وتضيف إليها من معالم الحضارة ما يمكن أن يفتخر بها في شعوب العالم.

أما الثاني، فلا تزال عقول أكابر أوروبا في حاجة إلى معرفة مصدر الإرهاب والعنف فإنّ معظم هذه العمليّات قام بها شبّان من مواليد هذه البلاد وممّن تربّى في مدارسها وجامعاتها وليسوا ممّن جاؤوا من الخارج فاقتحموا الحدود. عليهم أن يفكّروا ما الذي جعلهم يثورون على نفس التقاليد التي تربّوا عليها ونشأوا فيها: أليست مسألة الهوية هي التي جعلت من هذا الشباب يتنكرون لهذه البلاد وأهاليها، إِنَّهُم وجدوا في صفوف الأوروبيين عنصرية مقيتة

وتفرقة على أساس من الجنس واللون مع أنّهم كانوا يتكلمون بلغتهم وينتهجون منهجهم في اللُّبْس والعادات، فَلَمَّا وجدوا هذه التفرقة كان عليهم أن يعودوا ويسألوا أنفسهم؟

ماهي هويتهم؟ ولمن ينتمون وإلى من ينتسِبون؟

وجدوا أنّ هناك أشخاصًا وراء الحدود وعبر البحار من بني جلدتهم وممّن يدينون بدينهم أقرب إليهم في الأحاسيس والمشاعر، وفي العادات والثقافات، وفيما يذهبون إليه من الديانات، فأحكموا معهم الصلات ووطّدوا معهم وشائج المودّة والصداقات، وأرادوا أن يشاركوا معهم أفراحهم وأتراحهم. ومن هنا لبّوا الدعوات التي جاءت منهم ونفّذوا ما طلب منهم. إنها مسألة الفصل بين العدل والظلم، بين إعطاء الحق لصاحبه أو رفضه، بين الوقوف مع الصدق أو نقيضه.

أليست هناك أسئلة طرحت من أكثر من ستين سنةً بدون أن يكون لها جواب!!

يُسلبُ حق أهل فلسطين في أرضهم ويعطى لقوم آخرين ليست لهم صلة بهذه الأرض ؟

ألم يَكُن غزو أفغانستان وتدميرها تمامًا من قبل أمريكا بدون أيّ مبرّر شرعي ؟

أليست حرب العراق التي فرضتها أمريكا على أهله كانت على أسباب واهية وثبت عدم شرعيتها الآن بكل وضوح؟

هكذا حتّى يجد الشباب الحائر جوابًا مقنعًا على هذه الأسئلة، يصبح ولاؤهم لمن أحسن الإجابة عليها وأفواه بنادقهم موجّهة إلى من كان ضليعا في اشعال تلك الحروب التي أبادت الحرث والنسل وأكلت الأخضر واليابس في بلاد الشرق الأوسط.

فيا ليت عقول الأوروبيين تستيقظ من سُهادٍ وتمسح عن عيونهم غيومَ العنهجية والاستبداد حتّى ترى الحقّ واضحًا وضوح الشمس. فتأتي وتحكم بالعدل فتردّ الحق إلى أهله وتُعيد المياه إلى مجاريها وتأخذ على الظالم بسيف من حديد وتُعيده إلى صوابه. إلى أن يحدث هذا، لم تكن النفوس الثائرة لتهدأ ولم يكن الشباب ليَرْقُدَ.

الفصـــل الثالث

دور المؤسسات الإسلامية في المساعدة على تحقيق الاندماج الإيجابي للمسلمين في المجتمع

كيف نواجه الشباب، بنين وبنات مّمن أشبعوا بأفكارالإرهابيين وخاصّة مما لها صلة بداعش في البلاد الأوروبية؟

وللسلطات المحلية في بريطانيا جهد جهيد في هذا المجال تحت برنامج «الوقاية»حيث يقوم عدد من الدعاة، رجالاً ونساءً بالاتصال بهذه النوعيّة من الشباب سواءً كانوا ممّن رجعوا بعد زيارتهم لبلاد الشام ومشاركتهم في نشاط داعش ثمّ أودعوا السجون أو ممّن لا يزالون في بريطانيا ولكنّهم يشيدون بأعمال هذه الحركة الإرهابية بل يمجّدونها ويروّجون لها.

وقد اطّلع الباحث على عدد من القضايا التي لها صلة بهؤلاء الشباب وخاصّة البنات منهم ونذكر شيئا منها بدون ذكر الأسماء أو الهويّات ليكون الدُعاة على علم بعظم المسؤولية الملقاة على كواهلهم وعلى بصيرة بالواقع حتّى يعالج المشكلة بأنجع الطرُق وأكثرها إفادةً، وقبل أن نأتي إلى الأمثلة نبحث في أصل المشكلة:

عندما يفقد الشباب النموذج المثالي في البيت أو في المجتمع يلجؤون إلى مجموعات من شباب أمثالهم وهم عادة يميلون إلى الخصام والعنف والشدّة وتصبح حركات إرهابية من مثل داعش أقرب إلى طبيعتهم القتالية فيجدون فيها بغية أمالهم وشرح صدورهم. ومنهم من يجدُ في مثل قاتل الجندي «لي رجبي» (الشاب المتهوّر الذي قتل جنديًّا بريطانيًا على شارع عام من شوارع «غرينتش» في جنوب شرق لندن) الأنموذج الأمثل بما يجدون في أنفسهم من كُرْهٍ للغرب وثقافته. وهو ما يعبّر عنه بمسألة «الهويّة» عند الشباب، وقد تولّدت من جرّاء عدّة أسباب منها معاملة الدول الغربية غير العادلة للشعوب المسلمة خاصّة لأبناء فلسطين وتلاها تصرفها الظالم الغاشم المتمثل في حروب أفغانستان والعراق ثمّ خذلانهم الذريع في مناصرة شعب سوريا المقهورالمغلوب على نفسه بل وقُوفهم مع الطاغية بشار الأسد الذي أذاق شعبه أنواعًا من الظلم والاضطهاد وأوقع عليهم أقسى أنواع العقاب لأنّهم قاموا ضد حكمه المستبد الغاشم الذي استمر منذ عقود من الزمان.

ومنها ممارسات في المعاملات والسلوك، مبنية على تفرقة عنصرية من أجل إختلاف في اللون والجنس والعرق، وقد يجدها الشخص من أهالي هذه البلاد أصالة إذا أسلم فصار عُرضة ً للاستفزاز والانعزال. وهنا يتولد لديه هذا السؤال؟ هل هو فعلاً ينتمي إلى هذه

البلاد ؟ أليس إنتماؤه إلى من يشاركه خواطره ويحيا حَيَاة مثل حياته ويتثقف مثل ثقافته؟ ومنها حالة الضعف والهوان التي تمر بها الأمّة المسلمة في الوقت الحاضر في جميع بقاع العالم فإذا قارنها الشاب المسلم بماضيها المجيد وبطولاتها عبر الدُّهور أدرك أنّه لا يمكن أن يستعيد هذا المجد التليد إلاّ بإعادة الخلافة التي جمعت الشتات وأحكمت الصلات ومنحت للمسلمين قوّة وشوكةً. فإذا أعلنت خلافة في أي بقعة من بقاع العالم، هرع إليها الشباب مثل الهيم العطاش إلى عين الماء الزلال.

وهنا يأتي دور الدعاة في شرح معاني الحكم في الإسلام وحقيقة الخلافة التي تنشدها الأمّة حتّى لا يَجروا وراء كل ناعقٍ ولا يستجيبوا لأهواء كل طامعٍ.

وعندما نطرح فيما يلي عددا من الأمثلة لا يَسعُنا إلاّ أن نقول إنّ هناك حساسيّة زادت على ميزان العقل والرُشد من جرّاء «إسلاموفوبيا» في الغَرب، فإنّ السلطات أحيانا يتصرفون تصرفا غير لائق تجاه قضايا لا محلّ لها من الإعراب. فمثلاً رُفع أمر ولد مسلم لا يزال في الابتدائية إلى السلطات عندما أخطأ في بعض الدروس فغيّر كلمة مكان كلمة، كان المفروض أن يكتب: «I live in a terrace house» فأخطأ فكتب: «l live in Terrorist house»

وشتّان ما بين كلمة «terrace» (البيوت المتلاصقة) وبين كلمة «terrorist» (إرهابي)، إلاّ أنّه خطأ فاحش يجب أن لا يتعدَّ حدود جُدْرَان الفصل.

وكذلك أمر البنت التي وُجد في دفترها «اليوميات» تسجيل بخط يدها للحديث النبوي: «الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر». فتنبهت لها المُعلّمة ورفعت أمرها إلى مُديرَة المدرسة، حيث ربطوا أمر السجن بإقامة دولة تتصرف في السُجُون، ولو لا استشارة حكيمة من قبل داعية مسلمة لصارت على هذه البنت قضية !!

وها هُنَاك عدّة أمثلة وكلّها تدور على بَناتٍ أُشبعن بهذا الفكر المتطرف ويُلاحظ أنّ هناك خلفية لكلّ هذه الوقائع من تدهور البيت أو تدخُّل غير مرضٍ من قبل أفراد من العائلة أو من الأصدقاء.

1 – هنالك عائلة من أبوين وأربع بنات، ماتت الأمّ بالسرطان وصار هناك نزاعٌ بين الجدّة (أمُ الأُم) والأب في كفالة الأولاد. وحصلت الجدّة على كفالتهن من قبل المحكمة ممّا جعل الأب يغتاظ ويتحسّر فيقطع جميع علاقاته مع البنات. وتربت البنات في حضن جدّة ما عندها استطاعة لتراقبهنّ، وتأثّرت إحداهنّ بفكر هذه الدولة المزعومة، الدولة الإرهابية في الشام والعراق، واكتشف أمرها قبل أن تستطيع اللحوق بمن تمجّدهم لَيْلا نَهَارا والمحاولات

جارية من قبل الدعاة والداعيات للتأثير عليها وتعريفها بالمخاطر العقَديَة والعَمليَة والتي تَلحَقها إذا حققت ما أرادت.

وكم هنالك من بناتٍ فَقَدْنَ عينًا حارسةً يقظةً من الآباء فتعرضنّ لحبائل الشيطان التي يبسطها في مجال الشبهات والشهوات.

2- أمّ تهاجر إلى الدولة المزعومة مع أربعة من أطفالها واكتشفت أنّها كانت على خلاف شديد مع زوجها ممّا جعلها تبتعدُ عنه بهذه الحيلة .

3- بنت تبلغ من العمر 21 عامًا وأصبحت مَصيدة لهذه الأفكار المتطرفة، لماذا؟ كانت مع أخواتها تُلزمُ من قبل أبيها أن تشتغِل في متجره بعد الفراغ من الدراسة مساءً يوميًا وطيلة نهارِ يومي السبت والأحد، فإنّ الرجل ما كان يهمّه إلاّ جمع المال. وبعد أن تزوجّت الكبريات من الأخوات بقيت هي الوحيدة لتَشتغِل في المتجر فنقمت على أبيها ونقمت على تجارته ولجأت إلى هذا الفكر الذي صار الشُغل الشاغل لها. والآن يُرْجى من الدُّعاة المحتكين بها أن يعيدوها إلى صوابها.

4- بنت تجلس على مقعد الدراسة في مدرستها وهي ترسل رسالةً إلى صديقها أثناء الدراسة فتنتبه لها المدرّسة فتنزعُ عنها الجوال وتُسَلّمه إلى مديرة المدرسة، فأرادت أن تطلّع إلى رسالتها فإذا هي كتبت إلى صديقها:

«بجانبي بنت كافرة أشتهي أن أضربها ضَرْبَةً»، فكتب إليها صديقُها: لو كنت مكانك لَقتلتُها».

هذه هي منتهى الكراهيّة التي بدأت تغزو نفوس الشباب في هذه البلاد تُجَاه الذين لا يدينون بدينهم ولا ينتَهجُون منهجَهم في الحياة والسُلُوك.

5- بنتان تمكنتا من الذهاب إلى بلاد الشام، إلى المناطق التي هي في قبضة الثُوّار، زوّجُوهما في غُضُون ثلاثة أشهر وقُتِل زوجَاهُما خلال ستة أشهر وانظُر إلى كتاباتهما (أي الزوجتين) على «التويتر» تقولان:

«سبحان الله ! هما دَخَلاَ الجنّة».

هذه أمثلة وهناك عشرات مثلها تدّل دلالة واضحة على أنّ من أسباب انحراف الشباب عن الجادّة المستقيمة واللجوء إلى حركات التطرّف والعنف التفكك الأسري وحرمان

الأولاد من رعاية الأبوين أو أحدهما والانفتاح الواسع الانتشار على وسائل الإعلام وخاصّةً الأنترنيت.

وللأحداث العالميّة وخاصّة للسياسة الغربية تجاه الدول المسلمة دور كبيرٌ في التأثير على عقلية الشباب. وكذلك العنصرية الممقوتة التي يُواجهونها في مدن الغرب وشوارعه. وهذا ممّا يُقوِّي الشعور بالهويّة والشخصية، ويُولّد لديهم الكراهيّة والبغضاء لكلّ ما يقف في وجوههم وقد هيّأت لهم حركات التحرير والمنادية بالخلافة ردودًا على أسئلتهم وإشباعًا لرغباتهم.

وعندما نُركّزُ على الدعاة وندعوهم إلى معالجة هذه المشكلة، يجب أن لا نغفل عن أهميّة وسائل الإعلام فإنّها صارت من أهمّ مصادر المعلومات والثقافة لدى الشباب، ولم يبق للكتب والمجلاّت هذا الدور الذي كانت تتمتع به سابقًا، وقد عُرف أنّ عددًا مِن الشباب المتطرفين عادوا إلى رُشدهم وصوابهم بعد أن صادفوا على شاشات الإنترنيت حوارًا نافعًا بين طرفين متضادين في الفكر والاتجاه، فكر يدعو إلى العنف والتطرّف وآخر يدعو إلى الوسطية والاعتدال وكان الفوز للحجّة والبرهان لا للعاطفة والهذيان.

ومع اعترافنا لأهميّة المنابر وخطب الجمعة والتي لا يزال لها تأثيرٌ بالغٌ في نفوس الحاضرين من جميع فئات المجتمع، ندعو الأئمة والدعاة إلى استغلال الإنترنيت إلى حدّ ما لبثّ أفكارهم ومحاورة خصومهم وإبطال حجّتهم ورّدهم إلى رُشدهم وصَوابهم وهذه هي رسالة القرن العشرين، والداعي الحكيم هو من يفهَمُ لغة العَصرِ ويطلَّع على الأفكار السائدة ويتمكن من معالجتها بأفضل الطرق وأنجعِها.

هذه هي سنّة الله في الأرض ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ولن تجد لسنّة الله تحويلا وصلى الله على سيّدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر و المراجع

1- Anti-Islam movement stages protest across Europe. Feb2016 , Wikipedia.

2- Wikipedia.

3- Ahmed Moor: Europe's anti-Muslim Racism (via Internet).

4- EU Policies against Terrorism (via Internet).

5- Council's framework decision on combating terrorism (available on Internet).

6- Wikipedia

7- Steve Peers: Does E.U need more laws on Terrorism (available on Internet)

8- Steve Peers: Does E.U need more laws on Terrorism (available on Internet)

9- Walthamforest Guardian18-08-2016

10- American Journalist's Club

11- Europe First Report on Islamophopia: By Emran Feroz &Telesur. May 4, 2016.

12- The News (London) dated 30-6-2016: Anti-Muslim incidents in Britain jump sharply.

13- Europe's anti-Muslim Racism by Ahmad Moor. (On Internet)

14- The news (London) dated 29/6/2016: "Extremism on the Rise in Germany"